

## الشريط الشائك يتحول إلى زيتون منغرس في أرض فلسطين

# عبد الرحمن قطناني يطوع عنف المعدن المعادي ويدعونا إلى التبصر بجماله

زهرة مرعي

لو كان للأسلاك الشائكة قدرة التعبير لتقدمت برسالة شكر للفنان عبد الرحمن قطناني. من بين يديه ومن خلال فكره الخلاق، صار تلك الأسلاك حضوراً متشعباً تحظى الواجب العنفي الأساس الذي من أجله وجدت. إن كان لتلك الأسلاك حماية ملكية ما أو تحديدها، وأن تصيح سياجاً لوطن، وأن تنبئ بمتع اجتياز مكان ما، لأم أمني أو لخطر. لكنها في ذاكرة اللاجئ الفلسطيني تحمل ألف سؤال وسؤال، وألف شكل وشكل من الألم الدفين، وفي الوقت نفسه لهذه الأسلاك فعل التحريض والتمسك بالأرض.

في ذكرى النكبة الفلسطينية، استقبل «غاليري أجيال» في شارع الحمرا في بيروت، معرض الفنان الشاب عبد الرحمن قطناني. خمس قطع مصممة بالأسلاك الشائكة، الأسلاك التي يستحيل أن تكون حالة ودية مع كائن بشري طبيعي، إذ ليس للبشر منحها رسالة قبول. فكيف الحال مع اللاجئ الفلسطيني؟ إنما عبد الرحمن قطناني المولود في مخيم صبرا في بيروت سنة 1983 حول السلك الشائك إلى عنصر زيتون. ومن خلال الأغصان الندية المتفرعة من جذور زيتوناته الأربع اشتهدنا زيتون فلسطين، وشمعنا تراثها.

القطعة الخامسة من أعمال قطناني هي «تورنيديو» أو إحصار، هو العصر الذي يضرب العالم العربي، ويحمله نحو المجهول، ومعه ما تبقى لنا من طموح وأحلام. هذا الإحصار يتوسط المكان ويضرب من أرضه إلى سقفه، حباله تتكون مشاعر الدوار، هل نصدق أو لا نصدق ما نحن عليه؟ نعم هو شكل لنا حياله أكثر من قراءة. ربما هو رقص المذبذب الما، وربما هي حورية البحر تصرخ طلباً للأوكسجين.

في المقابل، وبعد أن يُغرق الفنان المتلقي بسوادوية الواقع، يحمله إلى الزيتونة التي تمسك الفلسطيني بأرضه. شجرات الزيتون التي يقتلعها المحتلون لزراع مستوطناتهم في أرض فلسطين أعادها قطناني للحياة وبالشريط الشائك. تحول زيتون الشريط الشائك لشوكة في عيون الصهاينة، وصار عصبياً على الاقتلاع، وصار للذاكرة المستهدفة أولاً وأخيراً أن تبقى حية ونضرة.

من «تورنيديو»، المتقلب بعنف في العالم العربي، أقصبت فلسطين إلى مكان خلفي. سواء لفها الاهتمام، أو حاصرهما النسيان، هي الموضوع الأول والأساس الذي يحرك فكر قطناني الفني. للفنان موقف مما هو حاصل، وفي الوقت عينه يعلن تمسكه بهويته وتراثه وذاكرته التي تكونت من روايات الأهل والأجداد. ليس لقطناني موقف سياسي، هو في موقف وطني خالص ونقي كما الذهب من عيار 24 قيراطاً. صوب على عنف الشريط الشائك الذي وعاد

في المخيم حيث يعيش، فهذه حدود المخيم وهذه بيوت الزئك وناسها... وعاء فتياً على الحدود التي تفصل لبنان عن فلسطين، على شوكة سال شوق المقيمين وشوق اللاجئين. عصر عنف الشريط الشائك وحوله إلى أغصان زيتون، صار ذاك العدو الذي يهدد أجساد البشر بالتمزيق أن سولت لهم أنفسهم تخطيه، جميلاً. يتبصر فيه وتسال عن كيفية تطويعه، بحيث يتحول شكلاً تعجب به ونجبه، شكلاً ليس لنا الوقوف حياله من دون أن يهز بداخلنا مشاعر اللوعة على زيتون جُرح، وفلسطينيين تدمى قلوبهم، وفلسطين في أسفل سلم الامتعام.

وليس عبثاً أن يتصدر صالة العرض شعر ليوسف الخليل يقول بالكلمة فكر كل لاجئ فلسطيني في ذكرى النكبة، وعلى مدار الأيام. من هذا الشهر: سأغسل جيهتي حتى ترى مثل الضحية ويذوب عنها العار أنا إرهابي أنا تائر أنا مقاوم حتى تعاد إلى ذوبها الدار



أننا للحياة لن أظل ممزقاً أقسمت لأرضي ولا أختار مشيئتي قدز على أقدامه تتمسح الأيام والأعمار.

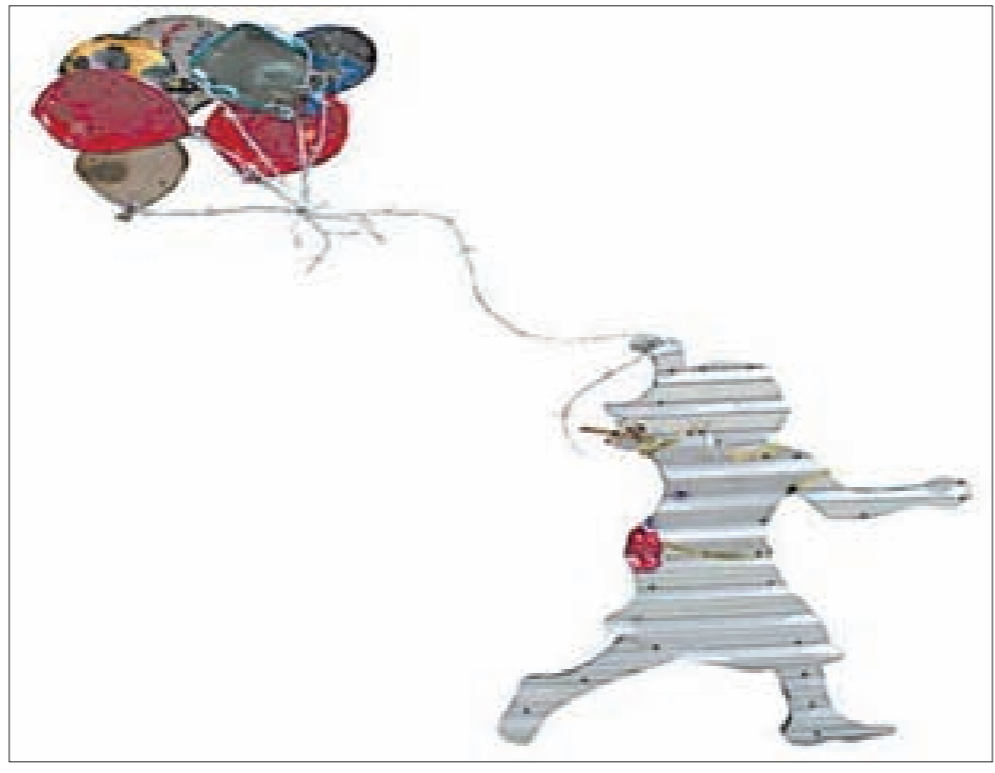
لعبد الرحمن قطناني مسيرة فنية مع الفن، فنه يتألف من حياة المخيم، حول نفاياته غير العضوية إلى موضوع اجتهد في تكوينه وتطويعه، جمعها مع أفكار خاصة به، فتوقف عنده المتعاون والنقاد. وفي معرض سابق له استقبله المركز الثقافي الفرنسي نقل قطناني بيوت المخيم إلى خارجه، فالتقى كثيرون بالمخيم في وسط منطقة المتحف، ففي بيروت آلاف مؤلفة من البشر لم تجذبتهم حشرياتهم المعرفية، الاجتماعية أو حتى الإنسانية لاستكشاف حال الآلاف القاطنين على بعد مئات الأمتار منهم.

قطناني في بيروت فتأنيق بلسان حال الفلسطيني، وبحال كل ضمير عربي حي. كان يحمل أدواته البسيطة ويجول في أزقة مخيم صبرا وشاتيلا، وعندما يصادف

جداراً ما أو فسحة صغيرة على أحد الحيطان، «يخربش» كما يقول بكل ما يجول في رأسه.

«خربشاته» زينت معظم جدران المخيم بمعانيها العميقة، وتنوعت رسوماته بين الغرافيتي والكاريكاتير، إلى اللوحات التشكيلية التي خلطت جميعها ألوان المخيمات وأمال ساكنيها بالعودة.

عبد الرحمن قطناني، انطلق من المخيم ليوسع آفاق دراسته في الفن التشكيلي ويتربص بصمته الخاصة التي تحمل رسالة الحرية إلى أصقاع العالم. وعن هذه الرسالة يقول: «رسالتني التي أسعى إلى إيصالها ليست فقط رسم معاناة شعب تعذب لأكثر من ستة عقود، إنما هناك رسالة ثانية، أننا شعب لديه قدرات كبيرة، لدينا مبدعون وفنانون وأدمغة لا يستهان بها، وأتمنى أن أستطيع من خلال رسوماتي وأعمالي إيصال رسالتني. أنا على يقين أن القضية بحاجة إلى عمل وتعب ومسؤولية كبيرة، فنحن شعب نستحق أن نعود إلى وطننا. وما زال لدي مخزون كبير من شغف هذه التجربة لتكون رسالتني فعالة بكل معنى الكلمة وترتقي فعلاً إلى مستوى المقاومة».



## مسرح اسطنبولي يطلق «مهرجان صور المسرحي الدولي» بمشاركة عربية دولية

انطلقت فعاليات الدورة الثانية من «مهرجان صور المسرحي الدولي» الذي ينظمه مسرح اسطنبولي في مدينة صور اللبنانية، ببرنامج شوارع انطلاق من وسط المدينة، وصولاً إلى المسرح، بمشاركة فرق موسيقية وفولكلورية لبنانية وفلسطينية، وبحضور حشد من أبناء صور وفاعليتها ووفد من بلدية المدينة. كما حضر ممثلون عن وزارتي الثقافة اللبنانية والصربية، ونقابة الفنانين اللبنانيين. افتتح المهرجان بعرض فيلم وثائقي عن حياة المسرحي الراحل ريمون حبيشة، وعبرته المخرجة الإسبانية آنا سندريرو ألفاريس عن فرحتها بحضورها «مهرجان صور المسرحي» الذي اعتبرته إنجازاً مهماً للبلدان، ما يتيح للجمهور الأوروبي التعرف إلى المسرح العربي، كما اعتبرت المهرجان يساهم في دمج



## «غورا» للكاتب الهندي طاغور... الرواية التي بشرت بالخلاص

يبعث كاتب الهند الكبير رابندرانات طاغور في رواية الطويلة «غورا»، والتي كتبها عام 1880 عن هوية أمته الصاعدة بين طوائف ومذاهب، والتي كانت تعاني في تلك الفترة من الجهل والتخلف.

وتعكس شخصية بطول روايته المسماة باسمه «غورا»، ذلك الباحث عن وسائل ناجعة لرفع نقل التقاليد الخاطلة عن كامل المجتمع والحقا بركب الأمم المتقدمة.

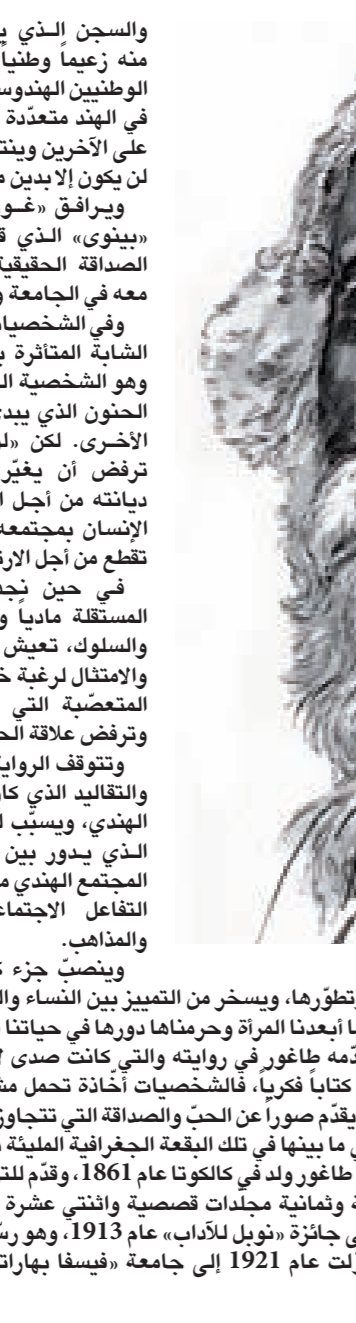
يركز طاغور في روايته التي ترجمتها الدكتورة ماري شهرستان في كتاب صدر مؤخراً عن «الهيئة الماري السورية للكتاب»، وتقع في 630 صفحة من القطع الكبير، على التعصب الديني، ويجعل بطلها «غورا»، نموذجاً للإنسان المستنير الذي لا يرى فوارق بين أبناء الأمة الواحدة طالما تجمعهم الهوية ذاتها. ويقول على لسان «غورا» في الرواية: الله خلق البشر مختلفين في أفكارهم وسلوكهم وفتاعتهم وتقاليدهم، ولدى الجميع عنصر أمتلكه أنا أيضاً، وهو ينتمي إلى الهند بمجموعها.

ويتعتبر طاغور كما تقول المترجمة سليلاً لعائلة أسست مذهب «براهمو ساماج» الذي ظهر كحركة إصلاح ديني، وهو في روايته ينتقد التعصب الذي وقعت فيه هذه الحركة وخروجها عن المقاصد التي قامت من أجلها. ويمثل لهذا التعصب كما صوره بروايته برفض زواج «لوليتا» البراهمية من «بينوي» الهندوسي واعتبار هذا الزواج فضيحة اجتماعية، لأن الزواج لن يتم وفق الطقوس «براهمو ساماجية». وهذا الإنغلاق الذي وصلت إليه حركة قام أبأؤده بتأسيسها، يعتبره طاغور في روايته رأس حربة التخلف التي طغنت الجسد الهندي في كل أنحاء.

ويكشف طاغور كما جاء في مقدمة المترجمة عبر حوارات أبطاله حالة التعصب الطائفي والمذهبي التي كانت متفشية في الهند، خصوصاً التعصب الذي عبر عنه «كريشنا دايال»، من شخصيات الرواية، وهو هندوسي تقليدي يعمل موظفاً إدارياً، والذي سعى إلى الوقوف في وجه محاولات «غورا» الإصلاحية، حتى أنه يمنعه من المشاركة في مراسم التطهر الهندوسية لأنه من أصول إيرلندية، وكان «غورا» يجهل ذلك حتى نهاية الرواية، على رغم أن «كريشنا دايال» وعائلته هم من تبنوا «غورا» ورتبه وعلموه حتى أصبح هندوسياً.

ويطال الرواية «غورا» الذي حصل على الرعاية والاهتمام من العائلة الهندوسية التي ربته وحصل على تعليم عال واكتسب شخصية قوية تتميز بالصلابية، جعلته يقف ضد الإحتلال الإنجليزي للهند، لأنه مقتنع بنوابات لا يحيد عنها قيد أنملة ولا يقبل أي مراوغات أو مهادنات فكرية، أراؤه قطعية ولكنه يملك الحجج المقنعة للدفاع عنها. إذ يقول في الرواية: هدفي ومرامي الهند، مهما وُجّه لها من انتقادات، لا أضخ أي شخص فوقها لا أنت ولا أنا ولا أحد آخر. أرفض أن أقوم بأي حركة تبعدني عنها شعرة.

التجارب التي يعيشها «غورا» مع البسطاء في الأرياف، والعنف الذي يلاقونه من المحتل،



**ومضات**

- الإبداع هو ولادة ذاكرة تسبق موضوعها.
- لا تغفل قلبك، دعه مفتوحاً، لنصّب فيه سواقي الوجود... فهي كفيّلة بأن تملأه بالله.
- لا يخيفني ما هو قبل الموت، وما هو معي، بل ما سيأتي بعدد.
- أن تقول نعم بالباطل، ففي ذلك كل الشيطان.
- إذا كان من الخطأ أن تدفع بخصمك ليصبح عدواً، فمن الخطيئة أن ترفض إمكانية تحوله إلى صديق.

ن ض

**الإعصار**

الإمبر صالح آل حرقوش\*

دقّ النفير وعربد الإعصار واستفحلت وتعاطمت أخطار حربٌ تُششّن على البلاد بأسرها والحاقدون الطامعون كغار صهيون من خلف الستار محرّض وتممّده دول هناك كجبار يتدنزح المتآمرون بحجة من أنّ إرهابياً هناك يُثار أمريكية نسيت بتأيام مضت «كُكزاك» عنها ضجّت الأخبار وكذلك «هيروشيم» قد لحقت بها شعبيّ يذوب، مجازر ودمار هذا هو الإرهاب لا ما تدعي بمقاوم يجتاحه استعمار إن الدقاع مشرّع عن موطن يطغى به متصلف جبار فهناك بالأرض السليبية نكبة الشعب يهلك والدماء أنهار وكذلك في أرض العراق مجازر في كل يوم يذبج الثوار وهنابلبلبنان المناضل والسذي قهرالعدوّ وشبابه الأحرار طياران «إسرائيل» يملأ جُوه بفظاظلة وكأنّاه إنذار فإلى متى الضمّ المعيب بأمة لا نورة تذبو ولا استنكار آن الاوان لأن تهب شعوبنا من كبروة ويغيريد البتار الصبر عن كيد العدو مذلة وتيهيّر، لا تنفع الأعذار العزّل لشهم الشجاع مكافأ ويحل ضيمّ بالجبان وعار وأعذوا ما استطعتم خيولاً للوغى حتى تصان عوائل وديار للعراب تاريخ مجيد سابقا وهم الأسود ويرعب التّرار ماذا دهامهم؟ أصبحوا يالأسى بديارهم يمزمو ويطغى الفار لم يبق إلا دولتان بأمة وعليهما التعويل والاصرار لبنان مع شام بمرصادهما للذود عن وطنين، هما التّيّار من سارفي خط الكفاح مناضلا فله الكرامة والسنا المعطار أمّا الذين تقاعسوا وتخادلوا فيهم تحيق مهانة وشنار لا يرتجى من أمة إنقاذها إلا إذا أهمل الثقافة ناروا وبدوا بتحريض الشعوب ليقتل من عفلة وتهبّ فيهم نار يتسابقون إلى المعارف والهدى أفكارهم تسري بها الأقدار هي سنّة الأكوان في دنيا السورى يتقارع الأشهرار والأخييار والحقّ منتصر وإن طال المدى والبطل يزهق في غد، ينهار

\* رئيس «دوحة البقاع الثقافية»